

كبير . لقد كان السكان العرب قليلي العدد ولا مجالين الى درجة اصبحت معها الارض غير مزروعة ومتروكة « (أ) . وتلك الاخرى ايضا : « عندما قدمت الى هنا (أي ١٩١٣) لم تكن سوى صحراء متخلفة ان لم نقل أسوأ . لم يكن هناك شيء . وهم لم يهتموا باستعادتها الا بعد أن جعلنا الصحراء تزهو وتمتلئ بالسكان » (ب) .

فليراجع فاينشتوك اذن ، على سبيل المثال ، دليل سوريا وفلسطين لبادكر في طبيعته الرابعة سنة ١٩١٢ حتى يرى أن الصادرات من مرفأ يافا وحدها قد وصلت في عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ الى قيمة عشرة ملايين ونصف المليون فرنك ذهبي (من بينها مليونان ونصف فقط ثمن برتقال) في حين ان الواردات بلغت ما مجموعه ١٥ مليون فرنك ذهب . وكانت حركة المرفأ سنة (١٩٠٩ — ١٩١٠) باخرة حولت ما مجموعه ١٦٠،٢٤٣،١٦٠ طنا . وفي مرفأ حيفا (الذي لم يشر فاينشتوك حتى الى وجوده) كانت قيمة الصادرات سنة ١٩١١ ٥ ملايين فرنك ذهب وقيمة الواردات ١٥ مليوناً . « وكانت غزه ، ذلك المخزن الكبير لتجارة الشعير ، تصدر سنويا ما قيمته ٧ او ٨ ملايين فرنك — ذهب من الحنطة والشعير والذرة . وكانت غلال الزيتون لا بأس بها » . اما بالنسبة الى الصناعات المحلية فان كتاب بادكر يشر الى صناعة السكاكين وأدوات الحراثة في الناصرة وزيت الزيتون والصابون في نابلس والزجاج والامشحة القطنية في الخليل الخ . . وفي حيفا ، كانت « الكروم تحتل مساحة واسعة من سفوح الكرمل وتنتج خبزا ممتازا » ، وجبل الكرمل « دائم الخضرة كل أيام السنة » ، ومرج بن عامر « حسن الزراعة » ، وفي الناصرة « كان معظم السكان ينعمون بنوع من الرخاء في العيش : كانوا يتعاطون الزراعة والعناية بالحدائق وتربية الماشية وكانوا يتاجرون بالقطن والحبوب » ، وكانت سفوح جبل الطور مغطاة بشجر السنديان والفسق ، وكانت ضواحي نابلس تنتج « حنطة

ممتازة » ، اما خضار بيت لحم فهي « من النوع الممتاز » ، وفي بيت جالا زراعة حسنة لاشجار الزيتون ، ودير ياسين محاطة بالبساتين المثمرة ، والخليل مشهورة بزراعة اشجار الزيتون والمشمش واللوز والكرمة ، وعين التمر محاطة بأشجار الليمون ، والطريق الى بيت جبرين تهر « بسهل حسن الزراعة » ، وبين بيت جبرين وغزة لا يوجد الا زراعة لاشجار الزيتون وحقول التبغ والسيسم ، وغزة نفسها محاطة بالبساتين ، ومؤخرة البلاد حسنة الزراعة اذ أنها تزود البلاد بالتمور والتين والزيتون والخضار الخ . . (ج) . ان حركة اسرائيل الكبرى أو أشكول أو فاينشتوك لن ينجحوا في اقتناعنا ، خلافا لكل منطق ، بأن فلسطين كانت ، قبل ١٩١٤ ، « ركنا مغمورا » باثسا وبدائيا .

في الصفحات ٨١ — ٨٢ يورد فاينشتوك وثيقة صادرة عن « مناضلين اشتراكيين اسرائيليين » وبشكل خاص هذا المقطع منها : « دخل الاستعمار الروتشيدي في صراع مع عرب فلسطين بسبب قضية واحدة : امتلاك الاراضي . كان البارون يشترى الارض من الانندية ، بواسطة رشوة الادارة المحلية أحيانا ، ويطرد الفلاحين منها . ومن ثم كان الفلاحون المطرودون من أملاكهم يشغلون كعمال زراعيين في مستعمرات البارون ، حسب مسار العملية الاستعمارية المعهودة » . يعلق فاينشتوك : « كان المستعمر على الطريقة الروتشيدي يمشي جنبا الى جنب مع العربي فيعمل معه ويتفهمه في حين ان الرائد لم يكن على اتصال بالفلسطينيين بسبب نمط الاقتصاد المنفصل ذاته » .

حقا ما كان اعظم حظ الفلاح الفلسطيني في تمكنه من العمل في اراضيه السابقة لحساب سيد كان يقبل ، بعد سلبه لارضيه ، بالعمل الى جانبه وباستغلاله مكانا اياه « بتفهمه » !

٣ — أوردها جورج فوشيه في « وثائق فلسطين عدد ٢ » التي تصدرها مجموعة الدراسات عن الشرق الاوسط في جنيف .

١ — وثيقة « حركة اسرائيل الكبرى » التي ظهرت في صحيفة « الجيروزالم بوست » في ٢ ك ١٩٦٨ — المنتخبات الاسبوعية — ص ١٠ — ١١ .

٢ — مقابلة للفي اشكول نشرت في « النيوزويك » ١٧ شباط ١٩٦٩ .